لآراغون مقولة جميلة :"الرواية هي مفتاح الغرف الممنوعة في بيتنا"[1] فموضوع الرواية موضوع ذو شجون راجت في الأوساط الفكرية نظرا لأهميتها وحيويتها في مجال الأدب ، تحكمها روابط سردية ونظام معين، إذ لا يمكن الدخول إليها إلا من خلال الرموز التي تتشكل في النص ، فقد دخلت الرواية مجالا كان صعبا في كثير من الأحيان ،خاصة الرواية الجزائرية التي عرفت تطورا ملحوظا عبر عدة مراحل حاسمة، وإن بدت باهتة بداية مع "عبد الحميد بن هدوقة " لكنها برغم نجاحها تبقى تشكل التأسيس والنشأة رغم ما قد يعاب عليها من قلة النضج ،وذلك أمر للإستعمار فيه يد.

فكانت سيطرة الإتجاه الفرنكفوني على الكتابة أمرا طبيعيا، وذلك عبر رواد ثلاثة قدموا إنتاجهم باللغة الفرنسية وهم :مولود فرعون،مولود معمري،محمد ديب، وبمقابل ذلك التأخر الحاصل في تجربة الكتابة بالخط العربي، ليظهر بعد ذلك التيار التعريبـــي من أمثال "رشيد بو جذرة" وغيره، وتشمل هذه المرحلة فترة الستينيات ،أما المرحلة الثانية فطبعت بطابع الموضة الإيديولوجية ،وبعدها عرفت الكتابة الروائية في الجزائر تحولا بحثت فيه عن ذاتها وذلك خلال فترة الثمانينيات لتجيء العشرية السوداء التي انزوت فيها الرواية إلى التعبير الكابوسي الظلامي ،حيث صدرت مجموعة من النصوص مثلت الحقل الأدبي الجزائري ،حاول أصحابها نقل ما عانوه من ممارسات شنيعة وفظائع الإرهاب، فَوُصِفت هذه الكتابة بالإستعجالية لتترك مكانها مؤخرا لنصوص قد تنعت با "ما بعد الاستعجالية "[2]

1 أحلام مستغانمي:شهادتها في معهد العالم العربي في باريس سنة1997WWW.MOSTAGHANMI.COM

2ملتقى الرواية الجزائرية المعاصرة (1990-2011) وقائع سردية و شهادات تخييلية يومي 21 و 22 نوفمبر 2011 http://www.crasc-dz.org 11 سبتمبر 2012 ,15:15د

ويمكننا القول أن الرواية في عصرنا الحالي نثر فني بمعناه العالي، فلغة الرواية يجب أن تكون لغة سائدة بين الناس ،لغة التوصيل إذا لم تكن لغة عامية الناس، فلا أقل من أن تكون لغة الطبقة المستنيرة منهم ،فكأنها لغة نصفها شعري جميل ونصفها شعبي بسيط ،فعالم الرواية عالم شديد التعقيد،متناهي التركيب ،إنها "جنس سردي منثور "لأنها ابنة الملحمة و الشعر الغنائي. [1]

والأدب الشفوي ذو طبيعة سردية جميعا ،من أجل ذلك تتخذ الرواية لغة سهلة الفهم ولا تسمو إلى لغة الشعراء والعلماء ،وعلى هذه الشاكلة بدأت الرواية الجزائرية مع بداية الألفية تؤسس لنفسها مرجعية ذاتية من التجربة الإبداعية عند كتابها الذين صعدوا بها وثبتوها أمثال "سمير قاسيمي" "واسيني الأعرج"،ربيعة جلطي"وغيرهم حتى غدا للنص الروائي الجزائري مشاريع يحتفى بها في المشرق و المغرب إذ برزت في الساحة نصوص أدبية تنشغل بالأحداث والوقائع التاريخية والمرجعية، وتتكيف معها باعتمادها على أشكال تجنيس وأساليب وأنساق سردية، وفنون كتابة ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الاجتماعي والتاريخي الذي يتحكم فيها ويقوم على بلورتها وإعطائها معنى محددا، ما يتيح للمتلقي بأن يمارس آليات القبض على الموضوع الجمالي لهذه الأشكال وتأويله بما يتماشى وسياقات التلقي التي لا شك أنها تتحكم فيها الظروف السيسيوـــ ثقافية ـــ التي تؤثر في إدراك المبدع ووعيه. [2]

كل هذا ساهم بشكل أو بآخر في تغيير منظومة تقاليد القارئ الجزائري بشكل عام فإذا كان القارئ بالفرنسية يملك بعضا من تقاليد القراءة الثقافية والروائية في الجزائر ،إلا أن القارئ بالعربية كان دائما مقاطعا أو حتى معاديا لقراءة الرواية،وكان قبل سنوات رهين الكتاب الديني المتمثل أساسا في كتيبات الفتاوى والنوازل والدعاوى، وهاهو الآن بدأ يخطو خطوة نحو غواية الرواية ،إذ ظهر جيل جديد من القراء يبحث عن نفسه في الكتابة الإبداعية، وهذا من بين الأسباب التي

1عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد ، ،دار الغرب للنشر والتوزيع ص: 33

2د آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف) ،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع (د ط)،(د ت ط) ص:7

أرجعها العديد من النقاد والروائيين إلى تزايد الإقبال على الرواية إضافة إلى تراجع الكتاب الديني الأمر الذي أنهى السنوات العجاف التي جعلت الرواية في ذيل اهتمامات القارئ والناشر على حد سواء.[1]

وفي هذا الصدد يبدي كثير من الأدباء والروائيين آراءهم في مدى تلقي الرواية الجزائرية المعاصرة، وأسباب ذلك، وسر اهتمام القراء المعاصرين بهذا الفن، حيث ربط الروائي "خليل حشلاف" تزايد الإقبال على الرواية بالتطور الحاصل في الحياة المدنية، وخاصة المدن الكبرى وتعقد الحياة بها إذ يرى أن هذا التطور جعل القراء يميلون إلى اقتناء هذا الفن النثري، لأن احتمال العيش في حياة ثانية داخل العالم الروائي أصبح لذة تبهر القارئ.[2]

يرى أمين الزاوي أن ثنائي(الناشر الذكي والكاتب الجيد) يصنع القارئ المميز ،أما ربيعة جلطي صاحبة رواية "نادي الصنوبر " فتعتقد أن الرواية أصبحت تكتسح الصفحات الثقافية والأدبية في أهم الصحف الناطقة بالعربية في الوطن العربي، أو الصادرة خارجه، إن العالم العربي اليوم أصبح ينشر من فن الرواية في سنة واحدة ما كان من قبل نتاجا لعشر سنوات أو أكثر،مضيفة أن الرواية العربية تتصالح مع قارئها، لأنها لم تعد تدير ظهرها لما يختلج في صدره من كرب، فالقارئ الجزائري والعربي أصبح ذكيا وعميقا و لم يعد قارئا ساذجا، فراح يتخلص شيئا فشيئا من عقدة المحلية، بارتباطه بوسائل الإتصال الحديثة كشكل من أشكال التمرد على الضحالة الفكرية والجمالية، ويبدو أنه على يقين من اختياره حين يذهب بكل حرية ليقتني رواية بعينها في غياب النقد والترويج للمنتج الإبداعي .[3] وتختلف الآراء من أديب لآخر حول تلقي الرواية الجزائرية المعاصرة ،إلا أن ما نلحظه في معارض الكتب من اقتناء هذا الجنس الأدبي يؤكد مدى تطور اهتمام القارئ الجزائري بهذا الفن المنثور، إلا أن الإستراتيجيات التي يعتمدها الكتاب للإشهار بمؤلفاتهم تختلف من كاتب لآخر فيعد الغلاف والعنوان أول واجهة لاستقبال القراء في أي عمل أدبي [4].

1ملتقى الرواية الجزائرية المعاصرة ، م س

2 ينظر المرجع نفسه.

3 ينظر المرجع نفسه

4 ملتقى الرواية الجزائرية المعاصرة ، م س

هل يطرح النص فقط إشكال الكتابة الروائية وكيفية تأصيلها؟ طبعا يطرح قضية أخرى هي قضية الكتابة والنسيان . إن الكتابة الروائية المعاصرة العربية، استبد بقسط وافر منها الهم السياسي وقضايا الإنسان العربي المعاصر المقهور، وضمن ذلك الكتابات الروائية النسائية التي تطرح إشكالية المرأة العربية في مواجهتها للواقع والمجتمع ولإكراهاته. وهو ما جعل الكثيرين يأنفون من الحكاية الشبية لأنها تعتبر تعبيرا ساذجا لا يتجاوز وظيفته التربوية والأخلاقية القائمة على الترهيب. وأنها خرافية تتجاهل الواقع وما يتفاعل داخله . إنها نوع من التعالي عن القضايا الجوهرية والحقيقية وهذا النمط من الكتابة يبرز أمامنا تعارضا قائما بين تيارين في الكتابة الروائية ، هما : الواقعية والكتابة اللاواقعية [1].

لم تقتصر شمولية الحساسية الجمالية على الاشتغال خارج نمطية المنطوقات اليومية، و ما يعتمل داخلها من إحداثيات، بل عمدت إلى توريط المخيلة الفنية، وجرّها إلى تخوم المكاشفة البصرية، باستقطار اشتغالاتها، المتراحة عن اللغة وآلياتها التعبيرية، وتحديداً تاريخ الأفكار، والمسارات السياقية للمعرفة النصية.ذلك أن الرسم جهاز من المفاهيم الأيقونية ، تُمارس رحلتها الاستكشافية، و لئن كانت لهذا المسار ، وتُعمل معولها الأركيولوجي في التنقيب عن المغيب من المشاهد البصرية علاماته وإشارياته التشكيلية، « فإن المحرك الجوهري للمبدع الحديث هو تفكيك النسق، كل أشكال النسق، والخروج من الدوائر التي رسمها الآخـــرون » [2] وفي الختام فإن تلقي الرواية المعاصرة عامة،والجزائرية خاصة،صار يكتنفه شيء من الغموض،وذلك لتوظيفها عناصر جديدة دخلت بنيتها السردية النثرية كعنصر الأسطورة، الخرافة والعجائبية ،التناص،الانزياح في اللغة،مما أحوج القارئ إلى اعتماد التأويل للوصول إلى دلالاتها القصية ونظرا لاعتمادها لغة الشعر بدل لغة السرد،صعب هذا من عملية التلقي وقلل من جمهورها وقرائها.

1معاشو قرور: الجمهورية العربية السورية ،وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب الأحد 19 ماي 2013 13:05 د مقال.

2 المرجع نفسه.